

أكاديمية العلوم الأخلاقية والسياسية

العضو المنتسب الأجنبي زكي نسيبة

13 يونيو/حزيران 2022

حياة وأعمال جان ستاروبنسكي

سيدي الرئيس،

السيدات والسادة الأكاديميين،

زملائي الاعزاء،

أصدقائي الاعزاء،

1. أود أن أعبر عن امتناني العميق للشرف العظيم الذي منحتموه لي اليوم بالترحيب بي

للانضمام إليكم كعضو منتسب أجنبي. لقد تأثرت كثيرا بكلمات الترحيب التي القاها

الأمين العام الدائم للأكاديمية، البروفيسور جان روبرت بيت، الذي غمرني بمشاعر

الصداقة والمودة.

2. وتغمرني في هذا اليوم ايضا مشاعر الامتنان والرغبة وانا اقف بينكم لشغل المقعد

الذي شغل بوفاة المفكر الكبير البروفيسور جان ستاروبنسكي، أو "ستارو" مع عائلته وأصدقائه وزملائه، والذين يتواجد عددٌ منهم معنا هنا تحت القبة اليوم.

3. وقد تم انتخاب جان ستاروبنسكي في الأكاديمية في 16 نوفمبر/تشرين الثاني 1987،

مثلما حدث من قبله مع أستاذين من أساتذة الأدب كانا عزيزين جدًا عليه؛ وهما جورج

بوليه في عام 1984، ومارسيل رايموند في عام 1977. وكان ذلك قرارًا حكيمًا إذا

عرفنا في أن الاستاذ الأول سمح لستاروبنسكي الشاب بمتابعة البحث في تاريخ الطب

في بالتييمور، حيث كتب خلال تلك الإقامة أطروحته عن جان جاك روسو، وأن الثاني

كان معلمه واتخذ مساعداً له في اللغة الفرنسية وآدابها في جامعة جنيف منذ عام

1946. وفي عام 1998 ، كرمت الرابطة الثقافية الفرنسية ستاروبنسكي بمنحه

جائزة *Grand Prix de la Francophonie* ، وهي جائزة تُمنح للأعمال الهامة

ذات الشهرة العالمية. و أود في هذه المناسبة أن أعتنم هذه الفرصة لأحيي السيدة

الأمينة الدائمة للأكاديمية الفرنسية الحاضرة بيننا اليوم. إنني اذا اشعر حقيقة بأنني

أشغل كرسي رجل تنماهى انجازاته مع أبعاد القرن العشرين بأكمله، فقد ولد عام

1920 وتوفي في عام 2019 ، وبذلك امتدت مساهماته الفكرية عبر ما يقرب من مائة

عام.

4. وكما قال صديقه الناشر الفرنسي بيير نورا، وهو عضو في مجموعة La Française، في الخطاب الرائع الذي ألقاه في عام 2010 عند حصول ستاروبنسكي على جائزة مؤسسة جنيف - "جان ستاروبنسكي، اخبرنا، ما هو سر عظمتك؟". وخلال الأشهر القليلة الماضية، أصبح هذا السؤال شاغلي الخاص ايضا الذي عملت على استكشافه.

5. وكما هو معتاد وفقاً لطقوس تنصيب الأعضاء الجدد في أكاديميتكم، فإنني آخذ على عاتقي استحضار موجز عن قيم وانجازات جان ستاروبنسكي، الذي أود تقديمه كشخصية تجسد "الوعي الأوروبي" في مثله الأعلى في الانفتاح على العالم. وهي المثل الملائمة في هذا الوقت بالذات، حيث تقوم فرنسا بانهاء مهام رئاستها للاتحاد الأوروبي. رسالة ستاروبنسكي في حياته كانت في مقولته الشهيرة: " انني أتوق روحيا أن أكون مواطناً اوروبيا، بل وإن امكن ذلك أيضا، مواطنا عالميا". وهي رسالة ذات معنى متجدد لانني اشعر بهذا المفكر بافاقه العالمية يمد يده ليتواصل معي مباشرة في الشرق الارسط.

6. كان جان ستاروبنسكي يحمل درجة الدكتوراه في الآداب، بعد أن ناقش أطروحة في تاريخ الأدب عن جان جاك روسو نُشرت على الفور في عام 1957 تحت عنوان *La Transparence et l'obstacle*، ودرجة الدكتوراه في الطب، حيث أُلّف عام 1959 أطروحة حول تاريخ علاج الكآبة من بداياته حتى عام 1900. وبعد أن مارس مهنة

الطب النفسي لفترة، كرس نفسه لتاريخ الطب والأفكار، وللكتابة الإبداعية، وللتدريس لأكثر من 35 عامًا في جامعة جنيف. وهو ناقد أدبي مشهور عالميًا، ترجمت كتبه إلى خمسة عشر لغة في العديد من المواضيع الشيقة عن الفكر الفلسفي في عصر التنوير، وعن مونتسكيو، وروسو، وديدرو، ومونتين، وبودلير، وعن فن الأوبرا، وفنون الرسم التشكيلي. ويغطي عمله مجموعة واسعة من الخبرات الإنسانية، من الإبداع الفني إلى المعاناة الداخلية، وفي دراسة التيارات الفكرية في أوروبا، حيث نشر كتاب *L'invention de la liberté entre 1700 et 1789* عام 1964، وكتاب *les emblèmes de la raison* عام 1973.

7. ولا يمكنني الادعاء انني استطيع في هذا الخطاب المختصر أن افي بكل جوانب شخصية هذا المفكر السويسري البارز و او ان استعرض حياته وأعماله بما تستحق من تفصيل وثناء. ومع ذلك، فإنني سأحاول أن أستخلص بعض الملامح من اثاره التي تلمس وترًا شخصيًا معي.

8. التيمة الاولى التي اريد التطرق اليها هي العمق الانساني في حياته وافكاره، وهي تيمة جامعة لكل ما ساحاول طرحه في خطابي اليوم.

9. جان ستاروبنسكي هو روسي من أصل بولندي، حصل على الجنسية السويسرية عن عمر يناهز 29 عامًا. ولم يغادر بعدها جنيف إلا نادرًا، باستثناء فترة وجيزة قضاها في الولايات المتحدة للدراسة. وفي عامه التسعين، حصل على جائزة *la Fondation pour Genève* (مؤسسة جنيف) تقديرًا لأنشطته العامة ومنشوراته الأكاديمية التي عززت نفوذ جنيف في سويسرا وفي جميع أنحاء العالم. وبمنحه الجائزة، كانت المؤسسة تكريم رجلًا وصفته بأنه " احد أبرز علماء الدراسات الإنسانية في المائة عام الماضية". وفي خطاب القبول الذي ألقاه، رد جان ستاروبينكي على هذه الإشادة بتعريف ماهية الجوهر الحقيقي للإنسانية في رأيه - إنها شيء آخر مختلف عن "الطلاء" السطحي الذي يستعمله البعض بشكل لا يتعدى الإشادة ببعض التفاصيل السطحية برغم تلونها بقشور علمية.

10. وقد صاغ مفهومه للنقد الأدبي بشكل مميز من خلال تجانس مستمد من خلال التباين والمقارنة، مستفيدًا من ثنائياته اللغوية متعددة التخصصات في الفنون والعلوم. وحدد دور الإنسانية وموضعها من خلال حساب حدود نظرية المعرفة العلمية.

11. وقال إن الإنسانية هي إعطاء الأولوية للاهتمام بالتجربة الإنسانية بكل تنوعاتها وتناقضاتها. إنها الرغبة في فهم العالم الذي نعيش فيه. وهي الرغبة في إدراك التاريخ الذي نستند إليه في الوقت الحاضر وفي صياغة أسلوب حياة قائم على

المبادئ. وقد قال إنه بينما نعيش في عالم أحدثت فيه قوى العلم تحولات كبيرة، إلا أن العلم لا يقدم أي توجيه أخلاقي أو معنوي يمكن اتباعه في اكتساب سلطاته أو استخدام موارده. إن مفهوم كرامة الجار وضرورة احترام الآخرين ليسا نتاج علم، لكنهما ما يميز الإنسانية وذلك عن طريق "إعطاء الأولوية للشرط الأخلاقي الذي يجعل "الإنسان ليس وسيلة بل غاية، في وجوده وفي تفردّه واختلافه المعترف بهما".

12. ومع ذلك ، لم يسع ستاروبنسكي إلى النظر إلى الإنسانية والعلم كشيئين متعارضين ثنائي التفرع. فالأمر بعيد عن ذلك. فمن خلال دراسته للطب كوالديه، كان يعرف مدى ضعف الأخلاق الشخصية غير المرتبطة بأي إثبات "موضوعي" ويعرف أيضاً قيمة الشجاعة من أجل ضمان أن التقدم العلمي لن يسبب أبداً ضرراً للبشرية.

13. وقد كان هو نفسه بالطبع تجسيداً لنقاط القوة التي يتمتع بها الشخص الذي يجمع بين العالمين، ويسعى إلى فهم كلٍ منهما من منظور الآخر. وبناءً على ذلك فقد قال إن القراءة تتكون من الاستماع للإيقاع والتردد الناتجين عن فسيولوجيا النص وبناء جملته والتجاور بين عناصره، تماماً مثل الاستماع بسماعة طبية.

14. لكنّه أكد أيضاً على ضرورة التمييز الواضح بين العالمين، قائلًا إن المرء لا "يشخص" العمل الأدبي طبيًا، تمامًا كما لا يُشفي المريض بالكلمات المنمقة. وعلى

حد قوله، فالأهم من ذلك هو البحث عن الوسائل الدقيقة والمواد التي تستجيب للنص أو المريض المعني، وذلك لاستخدام نهج تغذية الروح الإبداعية السخية ودقة التحليل، والاعتماد على تجربة تتمتع بالفهم وعلم يقوم على القياس.

15. استمد ستاروبنسكي "طريقته" في النقد الأدبي من مبادئ الاستقلال الفكري التي يطالب بها، حيث رفض أن يُنسب إلى أي موقف أيديولوجي. كان "الفن" الذي يستند عليه استفساره هو اختيار الأداة الصحيحة من مجموعة كاملة من الموارد التفسيرية، وهي أداة ستحدد المسافة الحرجة الدقيقة المناسبة للإدراك. وقد وجد أن من الضروري إيجاد المعنى من خلال إجراء المقارنات والتباينات بصبر، وفحص جذور النص، وبداياته وتطوره، والطريقة التي تلقاه بها الجمهور، وتأثيره السياسي، ومنتقديه. تميزت "مدرسة جنيف"، التي ارتبط بها ستاروبنسكي جنباً إلى جنب مع ألبرت بيجين، وجان روسيه وجورج بوليه ومارسيل ريموند، بهذا الانفتاح متعدد التخصصات الانعكاسي في جميع الأوقات. وقد عبّر، بدرجة أكبر من أساتذته، عن مسؤولية كاتب المقالات عن اختبار نفسه من خلال صياغة أسئلة تتعلق بالحاضر؛ مثل المنطق والتقدم، والقمع وآلياته النفسية.

16. التيمة الثانية التي أود تناولها في كلمتي هذه، والتي تكشف عن السمة

المشتركة للإنسانية بكل أبعادها في مسيرته الثقافية، هي تذوق ستاروبنسكي للفن والجمال.

17. كان الانضباط في الكتابة، الذي يعتبر بالنسبة للبعض محنة هائلة، يمثل سعادة

كبيرة بالنسبة له ليصبح معروفًا بأنه سيد المقال النقدي. في مجموعة نصوصه التي

تحمل عنوان *La beauté du monde; la littérature et les arts*، وصف

ستاروبنسكي اهتمامه المتواصل بالفن والأدب. كما كشف عن الأخلاقيات التي يقوم

عليها نقده؛ حيث أتاح لنا سماع وتوضيح الأسئلة التي يطرحها الشعراء والرسامون

والموسيقيون من خلال أعمالهم المتعلقة بمظاهر الجمال في العالم. إن نقد

ستاروبنسكي هو محاولة لتمجيد جمال العالم، ومحاربة عنفواته، وإنشاء دفاعات

مضادة لجنون الإنسان. لقد كان يؤمن بأن تعاطف الناقد هو الذي يكشف عن نظام

العالم، مما يفرض الصرامة في بعض الأحيان عندما يكون هناك تهديد بطغيان موجات

الظلام والاضطراب على البشرية.

18. يجد موقفه الأخلاقي جذوره الفكرية والتعبيرية في دراسة الفن والأدب، وفي

دراسة أفكار "التنوير وعصر المنطق" وفي قراءاته لروسو. فقد استكشف روسو

الجوانب المظلمة للطبيعة البشرية، ونتيجةً لذلك، بحث في متطلبات مجتمع يمتلك

القدرة على احترام الحريات والرغبات الإنسانية والتوفيق بينها وبين مثل المساواة والتقدم والكرامة الإنسانية.

19. يجب أن نتذكر أن ستاروبنسكي وُلد في عام 1920 في جنيف في بيئة خصبة فكريًا تعزز بالفنون والثقافة والعلوم. وصل والده إلى جنيف من وارسو حاملاً في جيبه نسخة من كتاب "فاوست". وقد قَدِمَ إلى هناك لدراسة الفلسفة والطب بعد أن حالت هويته اليهودية دون متابعة دراسته في بولندا. وقد أعطاه والده على الأرجح نسخته من كتاب فاوست، وقد هاجر والده نفسه من غابات ليتوانيا الشمالية إلى وارسو بغرض فتح مكتبة. وفي جنيف، أنشأ والد جان ستاروبنسكي ووالدته - وهي أيضاً طبيبة - حياة عائلية تغمرها الثقافة والمحادثات بعدة لغات مع الشعراء والمفكرين السياسيين والفلاسفة. ومن خلال تكوين أسرة بدوره، حافظ جان ستاروبنسكي على نفس الانسجام مع زوجته جاكلين، وهي طبيبة عيون مشهورة من أصل روسي، وأبنائهم الثلاثة "ميشيل" وهو أخصائي أورام و"بيير" وهو منظم مشاريع فنية و"جورج" وهو موسيقي وعازف موسيقى.

20. يدين ستاروبنسكي لجنيف بحبه للموسيقى. وقد كان مُرْتَلِ قُدَّاسٍ وعازف بيانو وعازف طبول، وكان يحضر بانتظام عروض الكورال والأوركسترا، ويشارك في حفلات موسيقى الحجرة التي كانت تقام في منزله. أثرت الموسيقى في كتاباته ونقده،

فقد نظر إلى الإيقاع والحن كلغة تحيط بالكلمات من كل جانب، مما يتطلب أدناً خاصة للتعرف على معنى التجربة الطبيعية والإنسانية التي تستحضرها.

21. وكان الطلاب والمواطنون يحتشدون في جنيف للاستماع إلى "ستارو" الذي كان شغوفاً بالتدريس ولكنه لم يكن واعظاً. وقد قاد فصوله الدراسية في جامعة جنيف ليجعلها بمثابة "مختبرات" للاستعلام والبحث والاكتشاف. وقال إن فصوله هي ورش عمل يُعد فيها مع طلابه الأفكار التي ستدوّن لاحقاً على الورق.

22. وكانت لديه مكتبة شخصية رائعة وصفها بأنها "طاولة عمل"، كما وصف مجلداته التي وصل عددها إلى 45000 مجلد في جميع مجالات النشاط الإنساني بأنها "أدواته" في العمل. وكان يعرف مكان النصوص في كتبه عن طريق اللمس وكان يجمع تلك النصوص معاً للتحضير لكل مشروع فكري. وقد كشفت مجموعة كتبه المختلفة المواضيع عن أدواقه الانتقائية في القراءة، والتي تراوحت بين أعمال رايموند تشاندلر وجناسات العالم اللغوي سوسور. وتعد هذه المكتبة اليوم واحدة من أهم المكتبات الأوروبية الخاصة، وقد أهديت للمكتبة الوطنية في مدينة برن.

23. في أوائل القرن العشرين، كانت جنيف تُشبه بالقدس الأوروبية التي تعد ملاذاً عالمياً وأممياً، تضم مجتمعاً متنوعاً من المهاجرين واللاجئين، وتمثل لهم ملاذاً من

الاضطهاد والنزاعات في أنحاء القارة. وقد شكّل هذا المجتمع المتنوع دائرة أصدقائه وغذاها بحافز فكري وجمالي. وقد تضمن ذلك مشاهدته مجموعات متحف برادو، التي كانت محمية في جنيف خلال الحرب الأهلية الإسبانية، والتي تركت تأثيراً قوياً عليه وأدت إلى الشعور بالمسؤولية والانشغال الدائم بالشؤون العالمية.

24. وهذا يقودني الى التيمة الثالثة التي اود طرحها في حديثي عن هذا المفكر اليوم

وهي أيضا تدين لبعده الإنساني وترتبط بعمله كرئيس لـ *Rencontres*

Internationales de Genève لمدة 30 عامًا - أي منذ 1965 حتى 1995 - بعد

أن كان عضواً في اللجنة المنظمة منذ عام 1949. وقد وصف هذا المنصب بأنه "سداد

الدين العام" الذي عليه ان يفي به تجاه مجتمعه. وكانت لقاءات هذه الجمعية

Rencontres تبحث في وجهات نظر عالمية متعددة التخصصات لتغطي المواضيع

والتيارات السائدة في الحقبة المعاصرة. والغرض منها هو التحذير من مخاطر الأفكار

المسلّم بها ومن التلاعب بالحقائق واتباع الغير دون تفكير ومن التراجع الفكري. ولأن

المشاركين في هذه الندوات كانوا حساسين تجاه تعقيدات الشؤون العالمية دائمة

التغير، فهم يسعون إلى إيضاح وتجلية السبل التي تزيد التقدم والرفاهية في

المجتمعات إلى أقصى حد. خلال فترة رئاسته، عملت *Les Rencontres* على ربط

أوروبا بالعالم، وتسلط الضوء على المخاطر التي تواجه الانسانية، وتعريف الهويات

الأوروبية بصيغة الجمع، وتحديد شروط السعادة. وقد أنشأت مهرجاناً أكاديمياً وثقافياً

أظهر روح جنيف العامة واستقلالها وفضولها الثقافي وحوّلها إلى العاصمة الفكرية لأوروبا. لهذا السبب أيضا أتوجه بالشكر الجزيل لك جان ستاروبنسكي.

الإمارات العربية المتحدة

25. سيداتي وسادتي. منذ أن تلقيت إشعارًا بانتخابي في الأكاديمية، قضيتُ وقتًا طويلاً في التفكير في أهمية هذا الحدث.

26. إنني أوّمن بأن هناك أهمية كبيرة لانتخاب أول عضو في الأكاديمية من منطقة الخليج العربي. ويغمرني الشعور بالامتنان وبالمسؤولية الملقاة على عاتقي لذلك. وأفخر بكوني أول عضو في الأكاديمية من دولة الإمارات العربية المتحدة، البلد الذي تشرفت بخدمته في مسيرتي المهنية كمواطن تبناه هذا الوطن المعطاء. فهو إذا حدث بالغ الأهمية في مسار حياتي الشخصية.

27. ومع ذلك، فأنا مقتنع بأن هناك أهمية أخرى وراء الحدث. أعتقد أن انتخابي يدين فعلا للحظوة التي كانت لدي نتيجة مسيرتي الشخصية والمهنية في الإمارات العربية المتحدة. فهناك صلة ضرورية بين تطوري المهني والفكري وهذه البيئة التي

تبننتي. ولذلك اشعر حقا إن امتياز انتخابي لا يعود لي، بل هو شهادة على قيم وتطلعات وقدرات دولة الإمارات العربية المتحدة والأفراد الملهمين الذين قابلتهم هناك.

28. ولذلك فإنني أرغب في أن أوضح الان فلسفة وشخصية البيئة التي وفرت الظروف اللازمة لرفاهيتي ولتطوري وإنتاجيتي، والتي حالفني الحظ بأن أودي دورًا صغيرًا في مسارها من خلال العمل عن كثب مع الأب المؤسس المغفور له الشيخ زايد، ثم مع القيادة الحالية. على الرغم من كونها بعيدة عنه جدًا من حيث السياق الجغرافي والوقت، إلا أنني أعتقد حقًا أن صدى هذه البيئة يتردد بقوة في مثل وقيم جان ستاروبنسكي.

29. دولة الإمارات العربية المتحدة هي دولة شابة تأسست كاتحاد عام 1971. وقد حالفني الحظ بأن أكون شاهد عيان على رحلتها الرائعة في الخمسين عامًا الماضية. لذلك فإنه لشرف لي أن يكون لدي رؤية واضحة لطابعها وقيمها.

30. دعونا نتذكر أن السردية الشائعة عن منطقة الخليج والشرق الأوسط هي اتساع بؤر الاضطرابات السياسية والصراع العنيف فيها. ونشهد من حولنا الأفعال الهمجية التي ارتكبتها عناصر متطرفة تدعي زورًا علاقتها بالإسلام في فرنسا وغيرها من الدول منها العربية والاسلامية. لقد أعطى هؤلاء صورة مشوهة عن ديننا وأذكوا

نيران كراهية الإسلام في العديد من عواصم العالم، مما يهدد الروابط الأخوية المتوارثة بين شعوب ضفتي البحر الأبيض المتوسط.

31. وفي المقابل، تتميز دولة الإمارات العربية المتحدة بجذورها العميقة في التراث

الإسلامي الحقيقي، ولذلك فهي تعطي الأولوية لكرامة الحياة الإنسانية. إن الرؤية والاستراتيجيات الوطنية لدولة الإمارات العربية المتحدة تسعى لتحقيق التسامح والتعاطف والرحمة بين الأفراد والشعوب. ويعبر ذلك بقوة عن القيم الإنسانية الأساسية التي تعكس تعاليم الإسلام الحنيف. وتكرس قيادات الإمارات العربية المتحدة وحكومتها جهودهم لضمان حصول كل فرد من سكانها على فرص متساوية في الوصول إلى الأمن والموارد والفرص اللازمة لحياة صحية وآمنة وهادفة.

32. علاوة على ذلك، تمتد آفاق أعمال الإمارات العربية المتحدة الخيرية خارج

حدودها لتعزيز الانفتاح والتعاون والعمل الخيري على الصعيد الدولي. تدرك هذه الرؤية أن رفاهيتنا الوطنية ترتبط بالرفاهية العالمية. وقبل كل شيء، فإنها تدعو إلى التعايش السلمي سواءً داخل المجتمعات المتنوعة متعددة الثقافات التي تعيش على أرضها، أو بينها وبين بلدان وشعوب العالم.

33. قد تفاجئ هذه الصورة المتباينة لدولة إسلامية حديثة التكوين السياسي من لم

تتح لهم فرصة زيارة الإمارات. ويمكن تفسير المكانة الاستثنائية للإمارات العربية المتحدة بروية الشيخ زايد وقيمه. فقد كان الشيخ زايد رجل عصر النهضة في شبه الجزيرة العربية يتمثل في رواه الإنسانية مع تلك التي عبر عنها المفكر الكبير جان ستاروبنسكي، على الرغم من أن الرجلين ينتميان إلى عوالم وثقافات مختلفة تمامًا. وقد كان للشيخ زايد على مدى أربعة عقود دور أساسي في حياتي ووفي تجربتي المهنية والشخصية، وأود الحديث عن ذلك قليلاً إذا سمحتم لي.

34. كان الشيخ زايد قائداً تحوليًا يتحلى بقيم إنسانية عميقة ويتمتع بروية شمولية

تمتد للعالم أجمع. كان يؤمن أن رسالته في القيادة هي في تخفيف المعاناة الإنسانية وتعظيم الإمكانيات البشرية ليس فقط في دولته ومنطقته بل على اتساع الكرة الأرضية. وقد كان يؤكد على ضرورة تحقيق تلك الرؤية، لكنه رأى أن ذلك غير ممكن إلا من خلال التعاون بين الأشخاص الذين يدفعهم إيمانهم المشترك بإمكانية بناء أمة مزدهرة بما يكفي لتأمين رفاهيتهم وتقديمهم.

35. ويمكن نجاح الشيخ زايد كقائد تحولي في استناده في عقيدته وعمله إلى أسس

عميقة وثابتة ومتينة في تكوينه. لقد كان يجسد كل ما تحمله الكلمة العربية "مروءة"

من معان تمثل سمات الكرم، والفروسية، والنبيل، وفعل الخير، والتعاطف مع الآخرين المتجذرة في شخصيته.

36. وقد دفعته هذه الفضائل والسمات إلى إعطاء الأولوية في قراراته للحفاظ على

كرامة الإنسان، ونشر مبادئ التعايش والتضامن، والعمل على تأمين الرفاهية للجميع. واليوم، تجسد دولتنا في مؤسساتها وبنيتها التحتية ومعاييرها الوطنية رؤيتها الإنسانية نحو العالم. فنسيج الدولة وهوية شعبها مطبوع بهذه القيم الأخلاقية.

37. وتستمر السياسات الداخلية لدولة الإمارات العربية المتحدة وتعاملها مع

الدول العربية والإسلامية والتزاماتها الأوسع تجاه المؤسسات الدولية للحكومة العالمية في اتباع المنهج الإنساني الذي أسسه الرئيس الأول للدولة. أود الآن أن أشرح لكم بشكل عملي كيف يتم التعبير عن هذه القيم الإنسانية.

38. تمتلك الإمارات العربية المتحدة سجلاً عريقاً في التعايش الديني والثقافي

والتسامح. فهي موطن لأكثر من 200 جنسية وتحمي بموجب القانون حقهم في احترام وممارسة معتقداتهم الفردية وعاداتهم وتقاليدهم. وهي بذلك تنفذ التزاماتها المترتبة على توقيعاتها على المعاهدات الدولية بشأن التسامح الديني.

39. في منطقة الخليج، تعد الإمارات العربية المتحدة علمًا بارزًا من حيث السماح بإنشاء أماكن عبادة دينية لغير المسلمين والتبرع بالأراضي لهذه الأغراض. علاوة على ذلك، تضم الإمارات العربية المتحدة دور عبادة للأديان السماوية الثلاث في رحاب البيت الابراهيمي، الأمر الذي سيلهم ويعزز التفاهم المتبادل والتعايش المتناغم بين أتباع الديانات.

40. ولقد كان تطوير التعليم دائمًا سمة محورية للسياسة المحلية لدولة الإمارات العربية المتحدة. وقد صرح الشيخ زايد قائلاً: "ثروة الوطن الحقيقية هي شبابها، وعلينا أن نوفر لكل الشباب الوسائل التي تساعدكم على تطوير إمكاناتهم".

41. في عام 1971، لم يكن الاتحاد الجديد يضم سوى عددًا قليلاً من المدارس، ولم يكن هناك أي جامعات. ولم تكن أساسيات التعليم تتوفر حتى لعدد قليل من الأشخاص. ولذلك كان من الضروري بناء نظام التعليم الابتدائي والثانوي الشامل في دولة الإمارات العربية المتحدة بسرعة، وجعله مجانيًا وإلزاميًا للفتيات والفتيان. ولتشجيع الآباء والأمهات على إرسال أطفالهم إلى المدرسة، كان الطلاب يتقاضون راتباً مقابل حضورهم. واليوم، حصل أكثر من 93% من السكان على التعليم الأساسي أو الثانوي، وتشكل النساء نسبة تزيد عن 70% من خريجي الجامعات.

42. واليوم أصبحت دولة الإمارات العربية المتحدة تضم أكثر من 100 جامعة ومعهدًا للتعليم العالي لها جذورها في جميع أنحاء العالم. ويعكس تنوع نظامنا للتعليم العالي النسيج الدولي متعدد الثقافات الذي يميز البلد، كما يعكس انفتاحنا الثقافي وتجذر قيم التسامح في مجتمعنا. وفي هذا السياق، تلعب سياستنا الثقافية دورًا مهمًا.

43. ولقد وضع الشيخ زايد الأسس المتينة لبناء صروح ثقافية نشطة وعالمية الابعاد. كان يعتقد أن المشهد الثقافي النابض بالحياة هو علامة على مجتمع صحي وهوية وطنية قوية ومصدرًا للاستكشاف والانفتاح والابتكار. ولهذا السبب عملت الحكومة على إنشاء هيئات ووزارات ثقافية نشطة في وقت مبكر جدًا.

44. وفي الخمسين عامًا الماضية، حدث نمو في دولة الإمارات العربية المتحدة حولها إلى واحدة من المراكز الثقافية الرئيسية في العالم، وأصبحت طبيعة حياتها الثقافية عالمية الابعاد. وتعد الصناعات الثقافية في دولة الإمارات العربية المتحدة جزءًا مهمًا من الإنتاج الاقتصادي والتطور الاجتماعي للدولة. ونحن نستثمر في مبادرات لتعزيز المشهد الفني والموسيقى والأدب والتمثيل والحرف، ونسعى لتدريب المواهب الفنية والترويج لها.

45. وقد تحدّث معي الشيخ زايد في الستينيات في مقابلة صحفية عن طموحه بانفتاح بلاده على حداثة المجتمع العالمي، مع الحفاظ على تراث الثقافة الإماراتية واصالتها. ولقد سعدت شخصياً في سياق دوري التنفيذي في هيئة الثقافة والتراث في أبوظبي في العمل على تطوير علاقات ذات منفعة متبادلة بين دولة الإمارات العربية المتحدة وثقافات العالم. وفي هذا الإطار، كانت الروابط القوية لبلدنا مع العالم الفرانكفوني ذات أهمية خاصة.

46. تستند العلاقات الوثيقة بين دولة الإمارات العربية المتحدة والفرانكوفونية بنطاقها الواسع إلى الاحترام المتبادل للاستراتيجيات الاقتصادية والسياسية والأمنية لكلا البلدين. والأهم من ذلك، في الالتزام بقيم ومثل مشتركة. اذكر انني شاركت في عام 1975، في أول زيارة رسمية للشيخ زايد إلى فرنسا. كانت الزيارة تهدف إلى إقامة شراكة إستراتيجية مع دولة كان الشيخ زايد يعتبرها حليفاً طبيعياً لدولته الحديثة التكوين السياسي التي تريد ان تقوم بدور نشط في ضمان الاستقرار في الشرق الأوسط - وهي منطقة ذات أهمية استراتيجية للازدهار العالمي، ولكنها تعاني من تفشي بؤر الصراع والتوتر فيها. ومن جانبها، ثمنت فرنسا رغبة الإمارات في العمل من أجل الوئام والاعتدال والأخوة والسلام في العالم. ولقد رافقت في العام التالي ولي العهد آنذاك ورئيس دولة الإمارات العربية المتحدة الراحل الشيخ خليفة بن زايد آل

نهيان رحمه الله في زيارته التاريخية لتوطيد الصداقة بين البلدين. وبهذا تجسدت
أسس شراكة الدولتين التاريخية على أرض الواقع.

47. ومنذ تلك الزيارتين لقد عملنا بشكل وثيق مع مؤسسات ثقافية فرنسية
كمؤسسة *Alliance Française*، والتي تشرفت بقيادتها لأكثر من أربعة عقود،
وانضمت لفترة وجيزة إلى مجلس إدارتها في باريس، لنشر الثقافة واللغة الفرنسية
في الامارات، كما وأنشأنا معاً العديد من فروع *Alliance Française* في جميع
أنحاء الدولة. ولقد احتفلنا هذا العام بيوم الفرانكفونية في إكسبو 2020 دبي، حيث
قُدِّمت اللغة الفرنسية كلغة رئيسية إلى جانب اللغتين العربية والإنجليزية. كما أفرح
بعلاقة العمل الوثيقة بين دولة الامارات مع *Institut du monde arabe* (أو معهد
العالم العربي) في باريس، بقيادة صديقي الموقر جاك لانغ. بصفته وزيراً للثقافة في
عهد الرئيس ميتران، أدى جاك لانغ بالطبع دوراً فعالاً في بناء المعهد الذي حظي بدعم
الشيخ زايد بقوة منذ البداية.

48. وبالنسبة للسياسة الخارجية لدولة الامارات، فقد كان الشيخ زايد هو من وضع
أسسها المتينة التي تتولى قيادتنا الحالية في تنفيذها وتطويرها اليوم. ومن خلال
عملي كمترجم ومستشار للشيخ زايد، كنت شاهداً على محاولاته الحثيثة لتحقيق

الرفاهية والاستقرار وإحلال الأمن في جميع البلدان التي تتعامل معها دولة الإمارات العربية المتحدة.

49. إن السياسة الخارجية لدولة الإمارات تمتد يد الصداقة لجميع بلدان العالم، وتمسك بروح ميثاق الأمم المتحدة وتلتزم بالقانون الدولي. ونحن نتمتع بسمعة دولية قوامها الاعتدال والانفتاح والتعاون.

50. وتلعب دولة الإمارات العربية المتحدة دورًا فعالاً في مؤسسات الحوكمة العالمية. كدولة متوسطة الحجم، فإننا ندرك أهمية أن نكون جزءاً من المجتمع الدولي، وأن تكون لدينا قوانين تعمل في سبيل تحقيق السلام والازدهار للجميع. وقد شغلت الإمارات العربية المتحدة هذا العام مقعدها في مجلس الأمن الدولي للمرة الثانية منذ انضمامها للمنظمة.

51. ولطالما كان العمل الخيري الدولي حجر الزاوية في السياسة الخارجية للدولة. منذ الأيام الأولى للبلاد ورغم وجود نقص في بنيتها التحتية، إلا أنها قدمت تبرعات تصل إلى 10% من ثروتها النفطية الجديدة في مساعدة الدول النامية. وتُعد الإمارات العربية المتحدة اليوم من أهم مصادر المساعدات الإنسانية الدولية في العالم. فهي تقدم التبرعات بغض النظر عن الجغرافيا أو الدين أو العرق للجهات المستفيدة.

52. كما تستجيب دولة الإمارات العربية المتحدة بسرعة لحالات الأزمات والطوارئ الدولية. على سبيل المثال، لعبت الإمارات العربية المتحدة دورًا رائدًا خلال جائحة كوفيد-19، وذلك بتسريع توزيع لقاحات كوفيد-19 على البلدان منخفضة الدخل. وقد استغلت شبكاتها اللوجستية وقدرتها على التخزين وموقعها الجغرافي المركزي في تزويد أكثر من 135 دولة بما يزيد عن 2000 طن من أجهزة التنفس الصناعي ومعدات الوقاية الشخصية والاختبارات التشخيصية. وقد كانت مساعدتها ذات أهمية بالغة في التخفيف من المعاناة، وأضافت بُعدًا عمليًا لمعاني الأمل والتضامن.

53. سيداتي وسادتي، اسمحوا لي أن أتحدث عن رؤية دولة الإمارات العربية المتحدة الدبلوماسية والإنسانية تجاه المستقبل

54. كما ذكرت، وُلدت دولة الإمارات قبل خمسين عامًا في ظروف محفوفة بالمخاطر، حيث كان وجودها ذاته مهددًا بالتحديات المحلية والإقليمية. ومع ذلك فقد نجح سعيها الإنساني لتحقيق التقدم والاستقرار. واليوم، أصبحت الإمارات العربية المتحدة دولة عصرية وناجحة وطموحة لديها القدرة على توفير السلامة والأمن والاستقرار في المنطقة.

55. وقد أصبحت دولة الإمارات العربية المتحدة نموذجًا تحتذي به المنطقة العربية

في التنمية البشرية. وتكشف مسيرة دولة الإمارات العربية المتحدة التنموية عن ضرورة توفر المرونة والاستقرار في الدولة لتطوير القدرات البشرية، وإعطاء الأولوية لرفاهية الإنسان، والترؤيغ للأخلاقيات الإنسانية وتنفيذها.

56. لقد أعطتنا الذكرى الخمسون لدولة الإمارات العربية المتحدة سببًا للتفكير في

الأولويات والعمليات اللازمة لضمان نمونا وازدهارنا في الخمسين عامًا القادمة. من المؤكد أن تقدمنا في بناء الدولة قد وُتد بالفعل رأس المال الفكري والثقافي اللازم للتنوع الاقتصادي بعيدًا عن الاعتماد على عائدات النفط. ومع ذلك، فقد رغبت قيادتنا الحالية في تقديم رؤية وتوجيه شاملين لتحقيق هذا المسعى. ولتنفيذ ذلك، اشتقوا عشرة مبادئ إرشادية لمسيرة الخمسين سنة القادمة.

57. وترسخ هذه المبادئ العشرة إرث الشيخ زايد. وأنا أجد صدى لها أيضًا في

المهمة الأوسع للمنظمة الدولية للناطقين بالفرنسية *Organisation*

Internationale de la Francophonie التي تفخر الإمارات العربية المتحدة

بالانتماء إليها كعضو منتسب نشط.

58. يتمثل المبدأ الأساسي للقيادة في تقوية اتحاد الإمارات العربية المتحدة

وتعزيز اقتصاد يتسم بالحيوية والتنوع. وهناك ثلاثة مبادئ أخرى تحدد الأدوات التي يجب أن نستخدمها للقيام بذلك. إنها توجهننا إلى زيادة تطوير رأس المال البشري، وتوسيع حدود تميزنا الرقمي والتقني والعلمي، ومواصلة السياسة الخارجية القائمة على التعاون متعدد الأطراف.

59. إن هذه المبادئ مثيرة للاهتمام بشدة. وهي تتحدث عن أهمية الجامعة كمنتج

للفكر، والمعرفة، والابتكار، والبحث. وهي شهادة على حكمة الشيخ زايد عندما قال إن أهم استثمار يمكن لأي أمة القيام به هو تثقيف الجيل القادم ليكونوا مستعدين لمواجهة المستقبل.

60. ومع ذلك، فإنني أجد المبادئ الخمسة الأخيرة هي الأكثر لفتًا للانتباه.

61. فهذه المبادئ الخمسة الأخيرة تتيح لي أن أختم حديثي كما بدأت عن الاهتمام

بالبعد الإنساني في حياة الأمم والأفراد. تقدم المبادئ إطارًا أخلاقيًا لاتجاه التقدم الاقتصادي والاجتماعي. وهي تطلب منا ممارسة مبادئ حسن الجوار، والانفتاح، والتسامح، السخاء في العطاء للمساعدات الخارجية. وترشدنا للدفاع عن السلام

والوئام واستخدام التفاوض والحوار كوسيلة لحل النزاعات. إنها تكريم إرثنا الإنساني وتجعله نهجا مستداما.

الخاتمة

62. سيداتي وسادتي ، أرى في مسيرتي المهنية - وإن كان على نطاق أكثر تواضعًا بكثير - تماهيا مع رغبة ستاروبنسكي في تكريس مساعيه الفكرية لتنوير التجربة الإنسانية وإثرائها. ولقد سعدت بمشاركتي البسيطة في تطوير الأسس الثقافية والتعليمية في دولة الإمارات العربية المتحدة خلال العقود الخمسة الماضية لتلبية احتياجات الأمة الجديدة. من خلال هذه الأسس ، استطاعت دولة الامارات ان تتطور القدرة على مناقشة وتفسير والتفاعل مع الشؤون المعاصرة بطريقة منفتحة وذكية وإبداعية. ولقد زرعت الدولة بذلك سنابل الكفاءة والنزاهة لكافة العاملين فيها ، وعملت على تطوير هوية قوية ، قادرة على مواجهة تحديات المستقبل. وهذه الأسس مهمة لأي مجتمع حديث ، فهي تدعم القدرة الإنسانية وتعزز مثل التسامح والانفتاح.
63. وإنني اشعر بالامتنان لأنني حظيت بالعمل طوال مسيرتي المهنية في بيئة دولة الإمارات العربية المتحدة. فهي بيئة مشبّعة بالطابع الإنساني الذي تتسم به قيادتها، ومؤسساتها، وسياساتها، وممارساتها. وتعد مواردها التعليمية والثقافية الحيوية وانفتاحها على العالم واهتمامها به محورًا أساسيًا في أسسها واستدامتها.

64. واني اعتبر ان انتخابي للأكاديمية يدين فعلا لهذه البيئة. وكوني الآن واحداً منكم، فإنني آمل أن أستطيع العمل معكم لتطوير علاقات اوثق تعود بالمنفعة و تتيح فرصاً للحوار والتعاون والتواصل على مستوى الأفراد والمنظمات والدول.

65. إنني أحب أن أفكر في أن أي مشاريع ناتجة عن مثل هذه الشراكة قد تحقق نتائج مشابهة لنتائج *Rencontres Internationales de Genève* وسيكون هذا تكريماً ملائماً للمفكر البروفيسور جان ستاروبنسكي. وآمل أن تعزز مثل هذه المشاريع وجهات النظر متعددة التخصصات العالمية والثقافية والأخلاقية التي تساعدنا على التعامل مع الشؤون العالمية المعاصرة. فمن شأن هذه المشاريع تسخير طاقتنا الفكرية ومواردنا من أجل تنشيط ثقافة إنسانية تجعل الحياة تستحق العيش فعلاً.

شكر وتقدير

66. السيد الرئيس، السيدات والسادة الأكاديميين، الزملاء الأعزاء، الأصدقاء

الأعزاء!

67. لقد منحتموني شرف دعوتي للانضمام إلى أكاديميتكم المتميزة لأشغل الكرسي

الذي أخلاه رحيل جان ستاروبينكي- وهو المفكر الإنساني العملاق المتعدد الثقافات

والعلوم، وهو أيضا المعلم والمرشد الملهم والملتزم، والعملاق المبدع في عالم

الثقافة، والرائد العالمي للأفكار والقيم.

68. أشكركم من القلب على هذا الامتياز الفريد.

69. عندما أنظر حولي اليوم إلى هذا الجمع المهيب، المجتمع في هذه الكاتدرائية

الأكاديمية التاريخية التي تعد منارة للمعرفة الإنسانية والتنوير، فإنني أشعر بالانبهار

والاعجاب بما يفوق الوصف تجاه المكانة الرفيعة لجميع أعضائها اللامعين ذوي

الصفات السامية والتفوق الأكاديمي المميز. إنني أدرك تمامًا عدم كفاية مزاياي لأن

تفي إرث جان ستاروبينكي الأسطوري بما يستحقه من تقدير وامتياز. لكنني أتعهد من

صميم قلبي بخدمة مثل الأكاديمية وأغراضها، وأعدكم ببذل قصارى جهدي للارتقاء

بمجهودي إلى مستوى يستطيع ان يقوم بتكريم ذكرى فقيدنا الراحل.